اديصن اكبر المخترعين

واسلوبهُ في البحث والتحقيق

لما اكتحلت عيننا برأى كنيسة ميلان ورأيناكم مرَّ علينا من الاعوام بل من القرون والمهندسون والصنَّاع دائبون على العمل فيها وافراغ ما بلغوهُ من الحذق والمهارة في نحت تماثيلها وتنسيق نقوشها قلنا قولاً لا نزال نردده وهو

ولن ترى عملاً تقضي السنون بهِ الاَّ اذا جاءهُ الانسان عن شغف

وهذا شأن اديصن اكبر مخترعي اميركا ان لم يكن اكبر مخترعي المسكونة فانهُ مشغوف باعمالهِ مستعبد لها كما سترى في السطور التالية وهي مبنية على ما كتبهُ عنهُ المستر اوليفر سيمونس في مجلة منسي الاميركية

كان اديصن منذ ٤٤ سنة فقيراً مدقعاً طاف في شوارع نيو يورك في شهر سبتمبر تلك السنة يومين كاملين من غير طعام وهو يفتش عن رجل يقرضهُ دريالاً . وهو الآن يملك الالوف والملايين بفضل مخترعاتهِ الكثيرة وحسبنا ان نعدَّ منها المصباح الكهربائي الذي تنار بهِ اكثر البيوت في المدن الكبيرة ، والفونوغراف الذي يسلي كثيرين بما يطربهم بهِ من اغاني كبار المغنين والمغنيات . والمركبات الكهربائية التي استعاضت عن البخار بالكهرباء وآلات الصور المتحركة التي هي اكبر مسلٍّ ومدرّس لجمهور الناس هذا عدا كثير من المخترعات الصغيرة

وسر نجاحهِ في الاختراع مواظبتهُ على عملهِ فانهُ يكاد يطلّق النوم والطعام في سبيل الاختراع . فعملهُ لا ارتباط بينهُ وبين شروق الشمس وغيابها ولا بين الجوع والشبع . وما دام عقلهُ مشتغلاً فيستحيل عليهِ ان يجلس على مائدة او ينام في فراش . ولقد اشتغل حتى الآن كأنهُ عاش مئة وخمسين سنة مع انهُ لا يبلغ السبعين الاَّ في شهر فبراير التالي . ولا يظهر عليهِ انهُ ناهز الستين

اذا كان شغلهُ عادياً نام خمس ساعات فقط كل يوم من الساعة الثانية بعد نصف الليل الى السابعة صباحاً ولكنهُ اذا التفت الى موضوع غير عادي يستغرق وقتهُ كلهُ طلّق النوم ثلاثاً . وهو لا يفتخر بانهُ يستطيع العمل من غير نوم بل لانهُ يعلم ان عملهُ يشغلهُ عن النوم

ولدى المخترع عقبتان الاولى افراغ الخاطر الذي يخطر لهُ في القالب الذي يصلح لهُ . والثانية جعل هذا القالب مما تروج سوقهُ ويكون منهُ ربح لمخترعهِ وصانعهِ ولذلك لا يكتفي اديسن باختراع الآلة بل يتقنها حتى يسهل العمل بها ويكون منها ربح لصانعها

وهو يعلم ان يداً واحدة لا تصفق فيستعين بالمساعدين ويبث فيهم روح الهمة والنشاط فيجارونهُ في اتمالهِ ويعمل كلٌّ منهم مثل نصف ما يعملهُ هو على الاقل . وتراهُ يرشد كلاً منهم الى العمل الذي عيَّنهُ لهُ ويتركهُ فيهِ لكي يجرب ويتمرن ويتنبه الى كل امر كلياً كان او جزئياً . وهم يتعيَّنون الفرص تحيناً لتناول شيء من الطعام لئلاَّ تخور قواهم من الجوع وهو مع ذلك لا يضطرهم الى مواصلة العمل اضطراراً وغاية ما هنالك انهُ يوصيهم لكي لا يضيعوا دقيقةً من اوقات سدًى وشعارهُ من هذا القبيل « ان قلت ريحك فافعل ايها الرجلُ » فلا يوصيهم بشيء الاَّ وهو قدوة لهم فيهِ

وعندهُ سبعة من الشبان يساعدونهُ وقد اشتغلوا مرةً نحو ١٥٠ ساعة كل اسبوع مدة خمسة اسابيع وبقيت المصابيح انكهربائية مضيئة في معملهِ كل هذه المدة نهاراً وليلاً

وبقي الى سنة ١٩٠٢ يشتغل ١٩ ساعة ونصف ساعة كل يوم ثم قلل شغلهُ فجعلهُ ١٨ ساعة ولكنهُ كان يتخطى ذلك احياناً فيشتغل عشرين ساعة في اليوم اذا لاح لهُ بارق اختراع جديد . اما مساعدوهُ فضعفت عزائمهم في الاسبوع الاول وثقلت اجفانهم من النعاس واحمرَّت مقلهم من السهر وخدرت ارجلهم من البرد وخارت قواهم من الجوع ثم الفوا ذلك وجعلوا يأكلون مما يأكل ووقتما يأكل فعادت اليهم القوة والبهجة

وهو من المقلين في طعامهم فاذا اكل اللحم اكتفى بقطعة كالبيضة او ابدلها بسردينتين وقليل من الخبز المحمص . ويكتفي بنحو مئة درهم من الطعام كل يوم ويقول ان ذلك يكفي البالغ ما لم يكن عاملاً يتعب كثيراً . ويفضل من الاطعمة البطاطس والبصل والفول مع قليل من اللحم ثم الفاكهة المطبوخة ويقول ان هذا يجب ان يكون طعام العامل

لما صار في يدهِ الريال سنة ١٨٧٢ على ما تقدم دخل مطعماً وابتاع منهُ من التفاح المطبوخ وشرب فنجانين كبيرين من القهوة فاسترد قوتهُ وثقتهُ بنفسهِ وبعد ساعتين وجد عملاً يعملهُ

قد يقول قائل ان كان اديسن ورجالهُ يكتفون بنوم اربع ساعات او خمس ساعات في يوم فلماذا لا يكتفي بذلك كل احد . والجواب انهُ ما كل احد يجد عملاً يستهويهِ

ويمتلك لبهُ حتى لا يشعر بتعب مما عمل وسهر كما وجد اديسن ورجالهُ فانهم يعملون كمن اضاع شيئًا وهو يفتش عنهُ او كمن عمل آلة وبقي شيءٌ لازم لاتمامها فلا تتمُّ بدونهِ

واسلوبهُ في اجراء اعمالهِ انهُ يضع الخطةَ التي يجب ان يجري عليها رجالهُ في اعمالهم ويتولَّى هو مراقبتهم ومساعدتهم واذا سنحت لهُ فرصة ربع ساعة رأى انهُ يسهل استغناؤهم فيها عنهُ استلقى على مقعد او طاولة واغمض عينيهِ . وكان قبلاً يطوي سترتهُ ويضعها تحت رأسهِ ولكنهُ وجد ان طي السترة يستغرق لحظةً من وقتهِ فارسلت اليهِ زوجتهُ وسادة من بيتهِ فصار يضعها تحت رأسهِ . واذا حدث اثناء نومهِ ما يستدعي ايقاظهُ أيقظهُ العمال حالاً وويل لهم اذا لم يوقظوهُ . وهو يستيقظ حالاً اذا مسهُ احد بيدهِ . وكلُّ ما يجدُّ في التجارب التي يجريها رجالهُ يستدعي ايقاظهُ لانهُ حريص على رؤية كل شيء اذا لم يكن قد رآهُ قبلاً

كان مرةً ينتظر امراً ذا شأن من التجارب التي كان يجريها فاستمرَّ مستيقظًا ثلاثة ايام بلياليها لم يغمض لهُ جفن . واتفق مرةً انهُ بقي يومين كاملين يعمل من غير نوم وعلى غير جدوى فقال لهُ صديق على مَ هذا التعب على غير فائدة فقال لهُ اخطأت فاني استفدت كثيراً من هذه التجارب لانني عرفت بها اموراً كثيرة لا تصلح فصرت اجتنبها

لما كان يحاول اتقان الفونوغراف جملهُ يردد اغنية واحدة الفين وخمسماية واثنتي عشرة مرة الى ان بلغ الغاية التي كان يتوخاها وكان قد اناط هذه التجارب بعمالهِ فنام في غضونها مراراً ولكنهُ كان يستيقظ حالاً كلما انتهى الفونوغراف من ترديد الاغنية مرة اما رئيس عمالهِ فسئم الاغنيةَ وردَّ ان لا يسمعها مرة اخرى في حياتهِ مع انها اغنية مطربة لانهُ لم يسمع غيرها مدة شهر من الزمان فاستكت منها اذناهُ وآذان رفاقهِ قبلما رددها الفونوغراف خمسمائة مرةً ولكنهم اضطروا ان يسمعوها الفي مرة بعد ذلك . ومرَّ على هذا الرجل حينئذٍ عشرة ايام متوالية لم ينم فيها الاَّ ساعة واحدة كل ليلة وكانت المدة المفروضة لنومهِ خمس ساعات كل يوم مثل أديسن

لكن التجارب لا تكون دائمًا على نسق واحد بل هي في الغالب متنوعة تنوعًا يسلي من يراقبها و يلذُّ لهُ قال هذا الرجل انهُ يشعر وهو يراقب هذه التجارب كما يشعر لاعب البوكر الذي يقضي احيانًا اربعين ساعة متوالية وهو جالس امام طاولة اللعب لا يكلُّ ولا يملُّ . وما من احد يستطيع ان يواظب على عمل زمانًا طويلاً الاَّ اذا أولع بهِ واستحسنهُ . وكل

مساعدي اديسن من هذا القبيل . ويجب ان يكون ذلك مثالاً للآباء لكي لا يطلبوا من اولادهم ان يواظبوا على عمل الاَّ اذا استحسنوهُ واولعوا بهِ . والشغف بالعمل ضروري للنجاح لان النجاح يقتضي المزاولة الطويلة ولا يصبر المرء على هذه المزاولة الاَّ اذا شغف بعملهِ . ومن رأي اديسن ان الامتحان هو مقياس النجاح في السياسة والادارة كما في الصناعات ولا يحسن ان يُقبَل رأي مهما كان الاَّ بعد ان يمتحن ويعمل بهِ

ومن مزاياهُ ان عينيهِ لا تكلان من طول السهر والتحديق وقد تمرَّط لذلك بان علَّق فوق رأسهِ مصباحاً كهربائياً ساطع النور جدًّا يعلو عن الارض مترين بوضعهُ منحرفاً لو مدَّ خط عمودي منهُ الى الارض لوقع على نصف قدم من كتفهِ الايسر . فان نور هذا المصباح وهو في هذا الوضع لا ينعكس عن الورق الذي امامهُ الى عينيهِ . والزجاج في كوى الغرفة التي يكتب فيها مصفر اللون ليحجب الاشعة الحمراء من نور الشمس . ومن يقم في نور مثل هذا يستطع ان يشتغل عشرين ساعة متوالية بعد نوم اربع ساعات من غير ان تحمر عيناهُ او تتعبا

وقد وضع القواعد التالية لحفظ الصحة وهي

اجتنب الاشربة الروحية

اذا شربت القهوة كتبه لمنع النعاس فامزجها بكثير من اللبن

لا تأكل اكثر مما يستدعيهِ عملك لان على جسمك ان يعمل هذا العمل فلا تتعبهُ بما يزيد عن حاجتهِ من الطعام

اجتهد حتى يكون حولك كثير من الهواء النقي دائماً وحتى يكون النور مناسباً لعينيك

اترك الاهتمام باشغالك حالما تنطلق في فراشك لتنام

لا تتعاطَ الاَّ العمل الذي ترضاهُ لنفسك وتفضلهُ على كل عمل آخر واجتهد حتى يكون من الاعمال الكثيرة التنوُّع حتى لا تسأم من تعاطيهِ . وليكن عملك لذتك وعماد حياتك في حاضرك ومستقبلك . اذا لم يكن لك عمل مثل هذا فتفتَّش عن مثلهِ والاَّ فارضَ بالنوم والكسل

وما قيل عن اديسن يقال عن اكثر الذين ارتقوا بجدهم واجتهادهم وتؤيدهُ اقوال الحكماء والباحثين في طبائع الانسان . وما احسن قولهم « ومن طلب العلى سهر الليالي »